مناظرتي مع الجنرال شارون

لواء د. سمير فرج

المصري اليوم
من حقك تعرف
7 أكتوبر 2015

شارون مصاباً وإلى يساره موشى ديان

ستظل حرب أكتوبر 73.. ونتائجها.. تدرس وتناقش على كافة المستويات في المؤسسات العلمية العسكرية في العالم.. وفى مراكز الدراسات الاستراتيجية.. وحتى البرامج التليفزيونية.. وهذا ما دعا قناة BBC البريطانية عام 1975 إلى أن تدعونى لعمل مناظرة علمية مع الجنرال الإسرائيلى شارون قائد القوات الإسرائيلية في معركة ثغرة الدفرسوار غرب قناة السويس ولقد قام بالتحكيم على هذه المناظرة أساتذة من المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية في لندن The International Institute for Strategic Studies أو IISS، حيث كان هذا المركز يجمع خيرة الباحثين العسكريين في مجال الاستراتيجية والأمن القومى في العالم.. وكانت إصداراته كل عام.. من المراجع العلمية التي يعتمد عليها كل الباحثين العسكريين في العالم كله.

وكنت في هذا العام طالب في كلية كمبرلى الملكية بإنجلترا.. وهى كلية من أعرق.. وأقدم كليات القادة والأركان في العالم.. وكانت مصر قد أوقفت إرسال مبعوثيها لهذه الكلية منذ

أزمة السويس عام 1956... وبعد عشرين عاماً.. كنت أول دارس مصرى التحق بهذه الكلية.. لمدة عام كامل.. وكان الجنرال آرييل شارون أيضاً من خريجى هذه الكلية.. مع إسحاق رابين.. وبن إليعازر.. وتال.. وجونين.. وغيرهم من القادة العسكريين في إسرائيل.

وكنت في هذا العام طالب في كلية كمبرلى الملكية بإنجلترا.. وهى كلية من أعرق.. وأقدم كليات القادة والأركان في العالم.. وكانت مصر قد أوقفت إرسال مبعوثيها لهذه الكلية منذ أزمة السويس عام 1956... وبعد عشرين عاماً.. كنت أول دارس مصرى التحق بهذه الكلية.. لمدة عام كامل.. وكان الجنرال آرييل شارون أيضاً من خريجى هذه الكلية.. مع إسحاق رابين.. وبن إليعازر.. وتال.. وجونين.. وغيرهم من القادة العسكريين في إسرائيل.

ولقد استمرت المناظرة بيننا لمدة ساعة ونصف على الهواء مباشرة.. تضمنت الساعة الأولى تسجيلات خارجية.. معى.. ومع الجنرال شارون.. عرضت فيها خطة القوات المصرية في اقتحام قناة السويس.. وكيف نجح الجيش المصرى في اقتحام أكبر مانع مائى في التاريخ.. وسقوط خط بارليف.. ويجب أن نوضح أن الحديث.. في وسائل الإعلام الغربية.. كان يختلف كثيراً.. في ذلك الوقت عن الحديث في وسائل الإعلام العربية.. حيث يعتمد الإعلام الغربى.. على الحقائق.. والأرقام.. والإحصائيات والمقارنات.. وليس على الكلام المرسل. ومن هنا تظهر صعوبة التعامل.. حيث ركزت على أن يكون عرض التخطيط المصرى وإدارة القتال لحرب أكتوبر 1973 متسماً بالوضوح.. والدقة.. والصدق.. معتمداً على النجاح العظيم.. أشبه بالأسطورى من وجهة نظر كل المراكز والمؤسسات العسكرية في العالم.. لما قام به الجيش المصرى في مجال الفكر والتخطيط وإدارة العمليات العسكرية على ضفاف قناة السويس، على الرغم من أن كل تقارير معاهد الدراسات الاستراتيجية قبل أكتوبر.. كانت تؤكد استحالة قيام مصر بأى عمل عسكرى شامل وخاصة اقتحام أكبر مانع في التاريخ.

وعندما بدأت بشرح خطة العبور المصرية واقتحام خط بارليف.. ركزت تماما على أن التخطيط للعملية الهجومية لاقتحام خط بارليف وعبور القناة.. كان تخطيطاً مصرياً.. خالصاً.. نابعاً عن الفكر العسكرى المصرى.. تم بعد خبرات طويلة.. في حرب الاستنزاف.. وتدريبات شاقة على عمليات العبور في دلتا نهر النيل لمدة 5 سنوات كاملة من عمر حرب

الاستنزاف بعد أن استكمل الجيش المصرى معداته وأسلحته التي فقدها في حرب 1967.. ولقد جاء السؤال سريعاً.. ومباغتاً من أساتذة معهد الدراسات الاستراتيجية.. على الهواء مباشرة.. كيف كان التخطيط مصرياً.. والذى رأيناه.. أنكم التزمتم بتكتيكات وأساليب القتال في العقيدة السوفيتية عن أعماق المهام القتالية.. كالمهمة المباشرة.. والمهمة التالية..!! ولحسن الحظ.. عرضت محطة BBC صورة لميدان القتال اعتبرته انفرادا في هذا الوقت.. حصلت عليه من الولايات المتحدة الأمريكية.. لذلك أشرت إلى الخط الذي وصلت إليه القوات المصرية شرق القناة في رأس الكوبرى من فرق المشاة المصرية الخمس، وأوضحت لهم.. أن هذه الخطوط التي وصلت إليها قوات رأس الكوبرى.. لم تكن مبنية على أساس أعماق المهام كما في العقيدة السوفيتية.. وإنما تم التخطيط لها على أساس مدى حماية خط حائط الصواريخ للدفاع الجوى غرب القناة.. فهناك بطاريات للصواريخ في الأمام وأخرى في الخلف.. اختلفت مواقعها حسب طبيعة الأرض في البر الغربى.. الأمر الذي أدى إلى ألا تتعدى القوات المصرية في رأس الكوبرى.. خط حماية حائط الصواريخ.. مما أدى إلى حرمان القوات الجوية الإسرائيلية من التدخل نهائياً.. بأى أعمال قتالية ضد قوات رأس الكوبرى المصرية.. شرق قناة السويس.. وكان خير دليل على ذلك.. الأوامر الصريحة الواضحة التي صدرت من قائد القوات الجوية الإسرائيلية لقواته الجوية يوم 6 أكتوبر.. فور عبور قواتنا قناة السويس.. بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة 15 كيلومترا.. التي كانت بالطبع مسافة عمل وتغطية حائط الصواريخ المصرى.. ومن هذا المنطلق تم حرمان الذراع الطويلة للجيش الإسرائيلى «قواته الجوية» من العمل ضد القوات المصرية طوال عملية اقتحام قناة السويس وإنشاء رؤوس الكبارى.. وهو ما أطلق عليه الخبراء العسكريون في العالم آنذاك.. أن المصريين.. طبقوا مبدأ جديداً في أشكال عمليات القوات الجوية.. وهو تحييد القوات الجوية المعادية «Neutralizing Enemy Air Force» وهو أسلوب لم يكن مطبقاً من قبل.

ولقد عرضت خطة العبور واقتحام خط بارليف بالتفصيل.. وكيف أن القوات المسلحة المصرية اقتحمت قناة السويس.. بخمس فرق مشاة مترجلة على مواجهة واسعة.. وأن ذلك القرار أربك حسابات وتقديرات القوات الإسرائيلية.. حيث وقفت الاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية عاجزة عن القيام بالهجمات المضادة ضد قوات رؤوس الكبارى المصرية في

انتظار تحديد المجهود الرئيسى لهذه القوات.. وذلك طبقاً لخطة الدفاع المتحرك التي كانت إسرائيل تطبقها للدفاع عن سيناء.. وأشرت أن خطة الدفاع الإسرائيلية التي اعتمدت على نقاط خط بارليف القوية.. ومعها احتياطيات على أعماق متعددة.. فقدت الاتزان الدفاعى.. ووقفت عاجزة.. أمام مفاجأة هجوم الخمس فرق على مواجهة واسعة.. وعدم قدرة القوات الجوية الإسرائيلية على تقديم أي معاونة للاحتياطيات المدرعة الإسرائيلية.

وعندما قامت الاحتياطيات الإسرائيلية لخط بارليف بالهجمات المضادة.. كانت ضعيفة.. ومبعثرة.. وتحطمت أمام الخطة الرائعة المضادة للدبابات التي نفذتها لأول مرة في التاريخ عناصر مشاة مترجلة.. دون دعم من دبابات التعاون الوثيق التي لم تصل لرؤوس الكبارى إلا في اليوم التالى بعد تشغيل الكبارى.

وجاء تعليق أساتذة معهد الدراسات الاستراتيجية.. أن توقف القوات المصرية وتعزيز رؤوس الكبارى.. تحت مظلة صواريخ الدفاع الجوى المصرى.. حرم الإسرائيليين من تنفيذ خطتهم الدفاعية بأسلوب الدفاع المتحرك Defense Mobile من استدراج القوات المصرية إلى مناطق احتواء وقتل لتدميرها في العمق.. ولذلك جاء إعلان موشيه ديان.. وجولدا مائير يوم 9 أكتوبر 1973 بهزيمة إسرائيل.. اعترافاً كبيراً بتفوق التخطيط المصرى في المرحلة الافتتاحية من الحرب.. علاوة على الأداء المتميز لتنفيذ هذا التخطيط.

لذلك اندفع شارون ليقول إنه لطالما عارض الجنرال بارليف.. وخطته للدفاع عن قناة السويس.. وبناء هذا الخط.. الذي وصفة شارون أنه مثل الجبن السويسرى ذات الثقوب.. وأن إسرائيل دفعت الثمن باهظاً.. عندما لم تستمع لآرائه حول تنظيم الدفاعات في سيناء.. ونفذت خطة الجنرال بارليف.. رئيس الأركان الإسرائيلى آنذاك.. وقبل أن أنطلق بالرد، تولى أستاذ من معهد الدراسات الاستراتيجية التعليق قائلاً.. سيادة الجنرال.. أشبعتمونا فكراً.. وآراءً.. ونظريات.. بعد حرب 1967.. نظراً إلى خبراتكم وتطبيقكم هذه النظريات التي حققت النصر عام 1967.. والآن نسمع أن كل هذه المفاهيم والنظريات الإسرائيلية خاطئة.. أعتقد سيادة الجنرال شارون.. أن ما فعله المصريون كان رداً عملياً على أن هذه النظريات.. لم تكن دقيقة.. أو صحيحة. ويبدو أن الجنرال شارون أعجبه هذا التحليل من معهد الدراسات

الاستراتيجية الذي يدين الخطة الدفاعية الإسرائيلية شرق القناة.. حيث قرر استغلال ذلك كله لصالحه الشخصى.. ليقول.. إنه من ذلك المنطلق وبعد إعلان موشيه ديان ومائير.. هزيمة إسرائيل.. جاء هو المنقذ.. لينفذ «عملية الغزالة» ويبدأ في التفكير في ثغرة الدفرسوار.

وحتى هذا الموقف كانت الخطة المصرية حصلت على تقدير 4 نقاط في المناظرة من لجنة التحكيم من معهد الدراسات الاستراتيجية.. بينما لم تحصل الخطة الإسرائيلية على أي نقاط.. بعدها تابعت عرض تفاصيل كثيرة عن تخطيط العبور والتنظيم الرائع لجهود القوات المصرية.. وكيف تم تنفيذ خطة الخداع.. وتحقيق المفاجأة.. والتغلب على الساتر الترابى.. إلخ.. لذا حصلت الخطة المصرية على نقطتين إضافيتين عن مرحلة إدارة القتال في رأس الكوبرى حتى يوم 15 أكتوبر 1973.. ليصل عدد النقاط إلى 6 نقاط بينما لم تحصل الخطة الإسرائيلية على أي نقاط.. وأكد معهد الدراسات الاستراتيجية على أن الخطة الدفاعية الإسرائيلية.. المبنية على خط بارليف كانت خطة ذات مفهوم دفاعى غير متزن.. وافتقدت عدم بناء الأنساق والخطوط الدفاعية المتتالية.. سواء بالاحتياطيات أو المواقع الدفاعية، وسمحت للقوات المصرية بكل سهولة أن تقتحم القناة.. وتنشئ رؤوس الكبارى.. وأن هذه النقاط الحصينة في خط بارليف.. لم تؤد أي دور دفاعى لها.. خاصة أنه لم يكن هناك أي تعاون نيرانى أو تكتيكى بين نقاط خط بارليف.. ولذلك عندما اقتحم المصريون القناة.. ثم عزل نقاط خط بارليف.. تهاوت هذه النقاط في ساعات.. أو استسلمت.. وشبه خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية IISS على الهواء.. أن ما حدث من سقوط لخط بارليف.. هو بالضبط ما حدث من سقوط لخط ماجينو في الدفاعات الفرنسية في بداية الحرب العالمية الثانية.. وإن اختلف الأسلوب.

وبعد ذلك جاء استعراض مرحلة تطوير الهجوم المصرى بالقوات المدرعة للوصول إلى خط المضايق في سيناء.. لتخفيف الضغط على القوات السورية في جبهة الجولان.. ولقد فقدت الخطة المصرية في هذا العرض في المناظرة نقطتين.. وعلق أساتذة معهد الدراسات الإستراتيجية على خطة التطوير المصرية.. بنفس التعليق الكلاسيكى الذي يدرس في كل

المعاهد العسكرية في العالم لكل القادة.. لا تدع السياسى يجبرك على القيام بعمل عسكرى.. ما دمت غير قادر على تنفيذه.. أو غير مقتنع به.. أو أنه خارج التخطيط المسبق للعمليات.

وبدأنا في المرحلة الأخيرة من المناظرة.. التي أعتقد أن آرييل شارون.. دخل هذه المناظرة في التليفزيون البريطانى على الهواء ليستعرض ما قام به في عملية الثغرة غرب القناة.. واستعرض شارون الانهيار الذي كانت عليه الجبهة الدفاعية الإسرائيلية في سيناء.. وهى التي دفعت موشيه ديان ليعلن هزيمة إسرائيل يوم 9 أكتوبر.. وبدأت إسرائيل في طلب إمدادات عاجلة من الأسلحة والمعدات من الولايات المتحدة الأمريكية.. التي بدأت في إرسال الإمدادات من خلال جسر جوى عاجل إلى إسرائيل.. وطلبت إسرائيل من الولايات المتحدة، طبقا لما ذكره شارون، أن تصل هذه الأسلحة والمعدات مباشرة إلى مطار العريش في سيناء.. لأن الجبهة في الجولان كانت قد تم الانتهاء منها.. أما الجبهة الإسرائيلية في سيناء فكانت منهارة تماماً.

وأضاف شارون أنه طلب على وجه التحديد الصواريخ المضادة للدبابات من الجيل الجديد من طراز TOW.. ذات الدقة العالية في تدمير الدبابات وهو تطوير للجيل القديم «المالوتيكا» الروسى الذي كانت تستخدمه القوات المصرية.. وفعلاً وصل إلى العريش يوم 13 أول دفعة من المقذوفات الموجهة المضادة للدبابات.. ولم تكن جديدة من المخازن ولكن تم سحبها من الوحدات المقاتلة الأمريكية العاملة في ألمانيا.. وجرى تطقيمها بأفراد من جنود الاحتياط الذين تم استدعاؤهم ضمن خطة الاستدعاء الإسرائيلية وأسند لقيادة هذه القوة.. إلى ملازم أول احتياط إسرائيلى اسمه «جوفى» أو ما أطلق عليه في المناظرة الملازم Joffy.

وبدأ شارون في هذه المرحلة يشرح خطته لاختراق رأس الكوبرى في الدفاعات المصرية للوصول إلى غرب القناة.. ليندفع إلى عمق الدفاعات المصرية.. مطبقاً نظرية ليدل هارت «الاقتراب غير المباشر» Approach Indirect.. وهى نفس النظرية التي كان يطبقها روميل في الصحراء الغربية.. وأيضاً طبقها الجيش الألمانى في اختراق الدفاعات الفرنسية على خط ماجينو في الحرب العالمية الثانية.. بتجنب الهجوم على دفاعات خط ماجينو.. والاختراق من اتجاه وغابات الأردين في بلجيكا.. وبعدها انهارت الدفاعات الفرنسية تماماً.

وشرح شارون هذا الفكر وأنه بدأ التطبيق بمحاولة اختراق الجانب الأيمن للجيش الثانى.. والذى كانت تؤمنه الفرقة 16 مشاة.. وذكر أنه هاجم بشراسة لمدة 3 أيام هذه المواقع.. التي عرفت باسم «معركة المزرعة الصينية» وقاد هذا الهجوم الجنرال آدان.. والجنرال ماجن. ويقول شارون.. إنه استخدم كافة الوسائل والقوات.. والأساليب.. وأن نيران المدفعية الإسرائيلية ظلت تقصف هذه المواقع المصرية بلا توقف ليومين كاملين.. وتم الهجوم على هذه القوات المصرية بالقوات المدرعة وبوحدات المظلات الإسرائيلية.. والتى هي أرقى الوحدات القتالية الإسرائيلية.. تدريباً وكفاءة.. وفشلت كل هذه الهجمات الإسرائيلية أمام صلابة الكتائب الأمامية للفرقة 16 في معركة المزرعة الصينية.. وإذا كان لنا من تعليق.. فإنه يجب الإشارة.. إلى أن قائدى كتائب المشاة التي أوقفت هذا الهجوم لمدة 3 أيام كاملة كانا.. المقدم محمد حسين طنطاوى.. والمقدم أحمد إسماعيل عطية.. وأتذكر أنه في إحدى زيارات الجنرال شارون بعد عدة سنوات لمصر في زيارة رسمية.. وعندما علم أن القائد المصرى في معركة المزرعة الصينية كان المشير طنطاوى وزير الدفاع المصرى، طلب شارون أن يلتقى ويقابل المشير طنطاوى.. ولكن إلى حد علمى فإن المشير طنطاوى اعتذر عن مقابلته.. ولم يقابله.. حتى إن شارون عندما علم بالرد الدبلوماسى لرفض المشير طنطاوى.. قال بالحرف الواحد «لقد كنت أريد أن أقابل قائداً شجاعاً.. قاتلنى بشراسة».

ونستكمل ما ذكره شارون بأنه بعدما فشل الجنرال آدان..والجنرال ماجن في اقتحام دفاعات الفرقة 16 مشاة لم يجد أمامه إلا أن يعبر من البحيرات متجنباً هذه الدفاعات المصرية الشرسة في المزرعة الصينية.. واندفع شارون بمجموعة قتال من سرية دبابات ومشاة واندفعوا إلى عمق منطقة الدفرسوار خلف رأس كوبرى الجيش الثانى الميدانى؛ حيث بدأ شارون مهاجمة قواعد صواريخ الدفاع الجوى.. وكان يكتفى بالاشتباك عن بعد من مسافة 3 كيلومترات ليدمر رادار القاعدة.. فتتوقف بطارية الدفاع الجوى عن العمل.. حتى نجح في عمل ثغرة في حائط صواريخ الدفاع الجوى المصرى.. لكى تندفع القوات الجوية الإسرائيلية لأول مرة يوم 17 أكتوبر لتهاجم القوات المصرية.. كما هاجمت قوات شارون.. مواقع المدفعية المصرية غرب القناة، وبذلك تم حرمان قوات رأس الكوبرى من المعاونة النيرانية من البر الغربى.. وذكر شارون أن هدفه من العبور إلى غرب القناة في البداية كان أن يندفع

للاستيلاء على مدينة الإسماعيلية.. بصفتها هدفا ذات أهمية استراتيجية والتى لو تم الاستيلاء عليها.. يمكن للجانب الإسرائيلى.. عندما يتوقف القتال في أي مفاوضات قادمة.. باستخدام هذا العمل للحصول على مكاسب يوقف بها نزيف الخسائر أمام النصر الكبير الذي حققته القوات المصرية شرق القناة.

ويقول شارون.. إنه فوجئ.. بقتال شرس وعنيد من قوات الصاعقة المصرية غرب القناة في منطقة الدفرسوار.. ومنطقة الجناين.. وبرر شارون خسائره الكبيرة في المعدات والأرواح.. بل وإصابته هو شخصياً إصابة نقلته للعلاج إلى داخل إسرائيل.. نتيجة لشراسة رجال قوات الصاعقة المصرية الذين كانوا يظهرون في كل مكان وسط زراعات المانجو. ولذلك قرر شارون نتيجة خسائره الكبيرة في اتجاه الإسماعيلية أن يعيد ترتيب أوراقه.. وقرر أن يندفع بقواته جنوباً في اتجاه السويس.. ليكون هدفه السويس بدلاً من الإسماعيلية.

ويقول شارون إنه.. لم يركب طائرة الإخلاء.. إلا بعد أن تأكد أن قواته بدأت في التحرك نحو السويس.. وغيرت اتجاهاتها من الإسماعيلية إلى الجنوب. وبدأ سؤال خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية لى عن خطة القوات المصرية ضد عمليات شارون.. وأوضحت أن القيادة العامة المصرية أمرت بتحريك اللواء 25 مدرع من الجيش الثالث شرق القناة.. وكان هذا اللواء مسلح بالدبابة ت 72 التي كانت أحدث الدبابات في الجيش المصرى هذا الوقت.. وكان هذا اللواء كاملاً بدون أي خسائر.. لأنه حتى ذلك الوقت لم يدخل أي معركة.. واندفع اللواء 25 مدرع وتقدم ببطء وحذر شديد.. من رأس كوبرى الجيش الثالث في اتجاه الدفرسوار على البر الشرقى.. ليقفل الثغرة بين الجيشين الثالث والثانى.. وقبل وصول اللواء 25 مدرع إلى رأس كوبرى الجيش الثانى بنحو 20 كيلومترا، كان قد وصل إلى ميدان القتال قبلها بساعة واحدة الملازم «جوفى» ومعه كتيبة صواريخ «تو» الأمريكية الجديدة.. التي كانت قد وصلت إلى العريش منذ ثلاثة أيام وتم تدريب الأطقم الإسرائيلية عليها هناك. وخلال المناظرة.. تم سؤال هذا الضابط الإسرائيلى «جوفى» في مقابلة تمت معه في إسرائيل.. عما حدث.. قال لقد وصلت لمنطقة القناة، وشاهدت وأنا متحرك غبار حركة اللواء 25 المدرع المصرى.. وأمرنى

قائد الجبهة بعمل ستارة مضادة للدبابات.. وقمت بإيقاف تقدم اللواء المدرع المصرى نظراً لدقة الإصابة العالية لهذا النوع من الصواريخ الذي كان مفاجأة للمصريين.

وجاء تعليق معهد الدراسات الإستراتيجية.. ليقول إن «هذه العملية» تستحق نقطتين فقط.. على أساس تطبيق شارون لنظرية الاقتراب غير المباشر.. كنظرية عسكرية علمية.. سليمة.. أما التطبيق فكان لا يتماشى مع أسس ومبادئ القتال.. وذكر الخبراء.. أن شارون.. لم يؤمن منطقة العبور بأى قوات.. وأن التنفيذ أشبه بعملية خاصة يطلق عليها إغارة بالقوة.. أو إغارة عسكرية.. يمكن أن تنفذها وحدات خاصة وليست عملية عسكرية رئيسية لها هدف هو الاستيلاء على مدينة ذات أهمية استراتيجية.. وأكد خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية أن قرار القيادة العامة المصرية بدفع اللواء 25 مدرع كان سليماً.. يستحق عليه نقطتين أيضاً.. ولكن دخول بطاريات الصواريخ تو.. غيرت من ميزان القتال.. وكان تعليق خبراء مركز الدراسات الاستراتيجية.. لو كان اللواء 25 مدرع قد نجح في معركته شرق القناة.. ولو كانت سرعة اللواء منذ خروجه من رأس كوبرى الجيش الثالث أفضل.. لكان شارون.. وقواته قد تدميرهم أو أسرهم غرب القناة.. ولتغير الموقف العسكرى.. والسياسى.. في الشرق الأوسط.. لعدة أعوام.. وقال خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن.. أننا لا نوصى لأى قائد أن ينفذ فكر ليدل هارت بهذه المغامرة غير المحسوبة وغير المؤمنة.. وأن شارون يجب أن يشكر الملازم جوفى وأمريكا على صواريخ تو التي لولا تدخلهم لفشلت العملية بالكامل. واحتد شارون بشدة على هذا التحليل من خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية وقال لهم.. أنا الذي حولت هزيمة إسرائيل المهينة إلى نصر على ضفاف القناة.. أنا الذي رفعت العلم الإسرائيلى.. فوق أفريقيا.. أنا الذي جعلت المفاوض الإسرائيلى في مباحثات الكيلو 101 قادراً أن يكون نداً للمفاوض المصرى، وبعد العار الذي جلبه ديان يوم 9 أكتوبر 1973.

وكان السؤال الأهم من خبراء معهد الدراسات الاستراتيجية.. جنرال شارون.. إن خسائر إسرائيل في معركة الدفرسوار فقط تساوى خسائر إسرائيل كلها في حرب 1956 و1967.. ولذلك فإن من أطلق عليك الجنرال الدموى.. لم يكن مخطئاً.. وثار شارون.. وأضاف لقد أعدت لإسرائيل هيبتها التي فقدتها في هذه الحرب.

ولكن ما يهمنى هو السؤال الأخير في الحلقة وكان موجهاً للجنرال شارون قبل أن ينتهى وقت البرنامج.. سأله خبير معهد الدراسات الاستراتيجية.. الجنرال شارون. في رأيك..؟؟ ما هي مفاجأة حرب أكتوبر بالنسبة لك من المصريين.. هل هجومهم يوم عيد الغفران والحياة متوقفة في إسرائيل؟ هل هجومهم في منتصف النهار وهو أمر لم يكن متوقعا؟ هل قيامهم بغلق مضيق باب المندب في مفاجأة أذهلت إسرائيل؟ هل لأنهم نجحوا في التنسيق مع سوريا لشن الهجوم في توقيت مشترك؟ هل لأنهم هجموا بطول مواجهة القناة.. وهو أمر لم يكن في تخطيط.. وحسابات وتوقعات الجانب الإسرائيلى؟ هل.. هل..؟ وذكر له عدة نقاط أخرى ولكن شارون أجاب.. إن ذلك كله لم يكن مفاجأة لنا.. إن بعض ما ذكرته ربما كان خارج توقعاتنا.. وحساباتنا.. مثل إغلاق مضيق باب المندب.. لكن المفاجأة لى شخصياً في حرب 1973.. هي «الجندى المصرى».. هذا الجندى المصرى.. لم يكن الذي قابلته في حرب 1956 أو 1967، فالجندى المصرى في الحروب السابقة كان لا يعرف القراءة والكتابة.. هذه المرة عندما كنت أستجوب الأسرى المصريين بنفسى فرأيت لأول مرة خريجى كليات التجارة والهندسة والحقوق.. إلخ. أيضاً الروح المعنوية لهذا الجندى هذه المرة كانت مختلفة تماماً.. وأضاف قائلاً.. إنه وهو متقدم بسرية الدبابات نحو الإسماعيلية.. بعشر دبابات.. وفجأة خرج من بين الأشجار 5 جنود من الكوماندوز المصريين «يقصد الصاعقة» وقال إن خمسة جنود.. ضد عشر دبابات الأمر واضح أنهم جميعاً قتلى.. وقال إن المفاجأة أنهم أصابوا خمس دبابات إسرائيلية.. وتم القضاء على الكوماندوز المصريين.. ويقول شارون.. هذه كانت مفاجأة حرب أكتوبر.. الجندى المصرى الجديد..المتعلم خريج الجامعات، هذا الجندى المسلح بروح معنوية عالية.. تعلم شراسة القتال..لم يعد يرهبه جيش الدفاع الإسرائيلى كما كان من قبل.. لقد صنعت منه هزيمة 1967 إنساناً جديداً..عكس توقعاتنا بعد 1967.. إننا قضينا على الجيش المصرى، وأصبح جثة هامدة غير قادر على القتال مرة أخرى.

وأضاف شارون.. أنه يجب على المخطط الإسرائيلى في أي حرب قادمة مع مصر.. أن يضع في حساباته.. نوعية هذا الجندى الجديد.. الذي لم نقابله من قبل.. وأنهى حديثه.. هذه كانت مفاجأة حرب أكتوبر لى شخصياً.. الجندى المصرى الجديد.

انتهت المناظرة بحصول القيادة المصرية على 8 درجات وحصلت القيادة الإسرائيلية على درجتين فقط.. مع توصيات عديدة جاءت معظمها سلبية في خطط وأداء جيش الدفاع الإسرائيلى.. سواء في الخطة الدفاعية لخط بارليف.. أو أداء معركة شارون غرب القناة.. بينما كانت الإيجابيات للقيادة المصرية.. الذي أوصى معهد الدراسات الاستراتيجية.. أنه يجب أن تدرس المعاهد العسكرية والمراكز العلمية هذا الفكر المتطور والتخطيط المتميز للقيادة المصرية، والأداء الراقى للجندى المصرى في هذه الحرب.. كما أكد معهد الدراسات الاستراتيجية على إضافة عنصر جديد من عناصر مقارنة القوات وعناصر حسابات التوازن العسكرى للدول، وهو إضافة العنصر البشرى، وهو أمر لم يكن محسوباً من قبل.. ولكن جاء ذلك بعد الأداء المشرف للجندى المصرى في حرب 1973.

وعندما نتذكر كل عام ما قدمه القائد والجندى المصرى في حرب 73 أتذكر هذه المناظرة التي كانت أكبر دليل من العدو قبل الصديق على عظمة وبسالة الجندى والقائد المصرى... الذين هم خير أجناد الأرض.

Email: sfarag.media@outlook.com